الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غليزان

محاضرات في
مناهج النقد النسقي

موجهة لطلبة السنة الثالثة

نقد ودراسات أدبية

أ.ابراهيمي خديجة

السنة الجامعية 2023/2022

المنهج لغة:

جاء في قواميس اللغة لكلمة (منهج) أنها تدل على الطريق الواضح المستقيم، يقول ابن فارس "النون والهاء والجيم أصلان متباينان الأول:

النهج: الطريق، ونهج لي الأمر، أوضح وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضا

وقال في الصحاح: "النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجا بيّناً، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته"

المنهج اصطلاحا:

هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة التي يصبو إليها كل منهم.

إن المنهج بوصفه إطارا علميا يساعد على كشف جماليات النصوص وفهم مكوناته وأبعاده الدلالية هو: "طريقة في البحث توصلنا إلى نتائج مضمونة أو شبه مضمونة في أقصر وقت ممكن، كما أنه وسيلة تحصن الباحث من أن يتيه في دروب ملتوية التفكير النظري"، والمنهج بهذه الوجهة، هو المفتاح الإجرائي الذي يساعدنا على كشف بواطن النصوص وحقائقها، لأنه ليس أداء منهجية فحسب، وإنما يختزل رؤية خاصة للعالم شارك في تفعيلها مجموعة الخلفيات السوسيوثقافية وغيرها التي أدت إلى ظهوره، وبالتالي فهو يساعدنا على رصد أبعاد النص الإبداعية"

البنيوية والشكلانية

لقد ركزت الشكلانية على الشكل ووضعت أسس الاختلاف بين الشكل والمضمون، واعتنت بالشكل، في حين حاولت البنيوية دمج الشكل في المضمون. تؤمن البنيوية بالظاهرة كبنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وتسعى إلى تحليلها إلى عناصرها الأولية، لإدراكها.

تهدف البنيوية إلى دراسة أبنية العمل الأدبي وعلاقات بعضها ببعض، وكيفية أدائها للوظائف الجمالية، واختبار لغة الكتابة عن طريق رصد مدى تماسكها وتنظيمها المنطقي والرمزي.

من مبادئ البنيوية أن النص الأدبي نص مادي تام منغلق على نفسه، ومنغلق في وجه كل التأويلات التي تعطيه أبعادا اجتماعية أو نفسية، والمقصود بمادي أنه قائم على اللغة. يقول الناقد رولان بارت "اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف"، نستنتج من هذا القول موقف البنيوية من كاتب النص، فهي تلغي وجوده وتفصله عن عمله الأدبي، كما أن البنيوية لا تعنى بالمعنى ولكن تعنى بآليات انتاجه أي الصيغة اللغوية التي كتب بها النص الأدبي وليس المضمون.

الأدب حسب البنيوية نظام من الرموز التي تولد في النص وتعيش فيه، ولا صلة لها بالخارج والواقع الاجتماعي.

تستند البنيوية إلى مصطلحات منها "النسق-النظام-البنية-المحور التركيبي – المحور الاستبدالي-الاختلاف-التقرير-الإيحاء-...ومصطلحات أخرى مرتبطة باللسانيات.

البنيوية التكوينية/هي فرع من البنيوية جاءت للتوفيق بين البنيوية المرتبطة بالشكلانية وما جاء به الفكر الماركسي. وتهدف الى استغلال البحث اللغوي الذي أثرته اللسانيات بما يخدم الفكر الماركسي، الذي يربط العمل الأدبي بالواقع الاجتماعي. ومن أهم نقاد البنيوية التكوينية جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان.

تهتم البنيوية بدراسة المستوى النحوي والمستوى الصرفي،والمستوى الصوتي، والمستوى المعجمي.

ارتكزت البنيوية في الحقل الأدبي واللغوي في نشأتها على المدرسة الشكلانية، التي سعت إلى علمنة الأدب، أي جعله علما له قوانينه التي نلجأ إليها لفهم النص الأدبي، بعيدا عن الأسيقة الخارجية لهذا العمل الأدبي في نحو الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية والنفسية التي كتب فيها..

فالشكلانية دعت الى قراءة النص الأدبي من الداخل لوجود نظام لغوي تتأسس عليه الصياغة اللغوية. ولا وجود لانعكاس الواقع داخل العمل الأدبي. كما استفادت البنيوية من النقد الجديد الذي ظهر في أمريكا 1950/1940. والذي يركز على أهمية القالب الشعري دون الاهتمام بالمضمون، ويرى أن هدف الشعر هو الشعر.

البنوية والرافد اللساني

تعتبر اللسانيات رافدا من روافد البنيوية ويتجلى ذلك من خلال الاشتراك في المصطلحات بين اللسانيات والبنيوية، فقد أشار دوسوسير إلى ضرورة استقلال النص الأدبي بوصفه نظاما منغلقا على نفسه.

تعتبر حلقة براغ أيضا مساهمة في نشأة الاتجاه البنيوي، من خلال طبيعة المنهج المتبع في هذه المدرسة، وقد فصلنا في هذا الموضوع عند دراسة المدرسة الشكلانية.

- يرى كلود ليفي شتروس عالم الأنتروبولوجيا أن البنية مجرد منهج وبالإمكان تطبيقه في أي نوع من الدراسات. كما أن البنيوية نسق يتألف من عناصر يمكن لأي تحول يمس الواحد منها أن يحدث تحولات في العناصر الأخرى.
- يرى جان بياجيه أن البنية تتميز بخصائص (الكلية-التحولات-التنظيم الذاتي)

- يقصد بالكلية أن البنية تتجسد في الإطار العام المكتمل للبناء وليس في الأجزاء المكونة لهذا البناء. أما التحولات فهي مجموع التغيرات الطارئة على مجموعة الأجزاء، وهي التي تمنح البنية حركة داخلية.
- يقصد بالتنظيم الداخلي، أن البنية كيان عضوي متسق ومنغلق يمتلك أسباب وجوده بمعزل عن غيره، وهذا المنظور يفهم ضمن رؤية اللسانيات للغة على أنها كيان منظم. يمتلك آليات وجوده دون الحاجة الى العوامل الخارجية في تفسيره ودراسته.
- تهتم البنيوية بدراسة الظواهر المختلفة، مثل المجتمعات والعقول واللغات والأساطير، على اعتبار أن كل واحد مما سبق يشكل نظاما قائما بذاته.
- إن تلك الظواهر إنما هي أنساق تتم دراستها من حيث الأنظمة التي يرتكز عليها ترابطها الداخلي.
- تعنى-البنيوية بالنظام العام الذي تقوم عليه فكرة معينة، وليس الاهتمام بمضمون تلك الفكرة. وكأنها تبحث عن المعادلة التي تقوم عليها تلك الفكرة. أي الركائز والمحاور التي قامت عليها الفكرة دون التركيز على المعنى.
- تسعى البنيوية الى إدراك العلاقات الموجودة بين الأشياء لأن إدراك هذه العلاقات هو ما يمكننا من فهم طريقة تشكيل البناء العام. إذا كانت البنيوية قد نشأت في أحضان الفلسفة والعلوم الطبيعية فإنها امتدت الى علوم اللغة طالما أنها تدرس كل الظواهر، وتسعى للبحث في العلاقات التي تربط الأجزاء ببعضها في إطار الكل. فالأصوات اللغوية داخل اللغة تشكل بنية من خلال علاقتها ببعضها، ومن خلال مواقع حدوثها ضمن الجهاز الصوتي، وكذا من خلال موقعيتها ضمن أنساق الكلم، وتكرارها وإيقاعها. والضمائر تشكل بنية من جانب العوامل المشتركة بين الضمائر والتقارب الموجود بينها، وكذا المواقع التي تشغلها تلك الضمائر كالدلالة على الحاضر والغائب، والمفرد والمثنى.

- كما أن الافعال تشكل بنية معينة داخل تشكيل الجمل، فالفعل الماضي بتعدده ونسبته داخل تشكيل النص يجسد بنية محددة، وكذا المضارع والأمر. لقد أظهرت الدراسة البنيوية للغة هيمنة النسق اللغوي على الأجزاء الصغرى بمعنى أن العناصر البسيطة ضمن اللغة إنما يهيمن عليها النظام اللغوي.
- والجدير أن اللغة مجال خصب للدراسة البنيوية بسبب وجود هذا النسق داخل اللغة أصلا. لذا فإن تحليل أي عنصر لغوي يتم بالنظر إلى بقية العناصر اللغوية وليس بمعزل عنها، أي في إطار الكل المتماسك في هذه الحالة ألا وهو البنية العامة للغة. التي تتشكل من وحدات صوتية تتجمع لتشكل وحدات صرفية تتماسك بروابط لغوية لتنتج عبارات وجمل.
- من هذه المنطلقات فإن البنيوية عند دوسوسير تقتضي الرجوع الى العلاقات الداخلية لفهم النصوص بدلا من الاحتكام الى السياقات الخارجية لتلك النصوص.

السيميائية01:

السيميائية مصطلح مشتق من السمة وهي العلامة، وباختصار بسيط فإن السيميائة هي العلم الذي يدرس العلامات، ولقد أشار (دو سوسير) إلى ضرورة وجود هذا العلم في قوله "اللغة نظام من العلامات يعبر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصم البكم، بأشكال اللياقة، بالإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية، على أن اللغة هي أهم هذه النظم على الاطلاق، وصار بإمكاننا أن نتوقع علما يعنى بدراسة حياة العلامات داخل المجتمع. وسيشكل هذا العلم جزءا من علم النفس العام، وسنسمي هذا العلم "سيميولوجيا". وسيتحتم على هذا العلم أن يعرفنا مما تتشكل منه العلامات، وما هي القوانين التي تتحكم فيها. وبما أنه لم يوجد بعد، فيستحيل التكهن بما سيكون عليه. ولهذا العلم الحق بالوجود في إطاره المحدد له مسبقا. على أن اللسانيات ليست إلا جزءا من هذا العلم. فالقوانين التي قد تستخلصها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق في مجال اللسانيات."

هذا القول لـ "دو سوسير" يتنبأ فيه بضرورة وجود مبحث السيميولوجيا يهتم بالدراسة العلمية للعلامات، ويأتي هذا الاقتراح انطلاقا من نظرة "دوسوسير" لطبيعة اللغة المبنية على نظام معين، لا نحتاج الى الواقع الاجتماعي لشرحه أو فهمه، وهو هنا يركز على أهمية اللغة في التواصل ، ويقارنها بنماذج أخرى يستخدمها البشر في التواصل تعتمد على الرموز المتفق عليها بين أفراد المجتمع ،ولا يمكن لوسائل التواصل الأخرى تلك أن تحل محل اللغة، لأنها وسائل محدودة التوصيل، ولا تخضع لنسق داخلي يحدد وجودها ويضبط كل العمليات المتعلقة بها.

إن هذا الوعي العميق بنظام اللغة هو الذي أوحى لـ 'دو سوسير' بناء نظرية لسانية، سليمة المنطلق ومؤسسة لمشاريع لسانية مستقبلية من بينها المشروع السيميائي.

ارتبط ظهور المبحث السميائي بالدرس اللساني، حيث نلفي المبحثين متعاضدين إلى حد توظيفهما لذات المصطلحات ، على الرغم من اختلافهما في مجال الاشتغال، فإذا كانت اللسانيات تحدد موضوعها بدقة والمتمثل في العمل على دراسة الجوانب التركيبية (الجانب النحوي –الجانب الصرفي-الجانب الصوتي)، من خلال دراسة الجملة بوصفها أكبر وحدة دالة فإن السيميائيات ترى النص أكبر وحدة دالة، مشتغلة على جوانب المعنى العام للنص، متتبعة دلالة العلامات والإشارات، وكذا الجوانب الرمزية المتناثرة من بداية النص إلى نهايته،

إنها تعتبر النص الأدبي مجموعة من العلامات موظفة بطريقة رمزية، وتحليل النص يتطلب فك هذه الرموز، واستقراء دلالتها، ودورها في بناء الجوانب الجمالية والفنية للعمل الأدبي، وكل ذلك بطريقة التفسير المنطقي للدلالات، أي تفسير يتقبله العقل، بالرجوع إلى ما وفرته اللسانيات في مجال دراسة اللغة دراسة علمية.

يقول 'لالاند' في معجمه الموسوعي إن السيميولوجيا علم يدرس حياة الإشارات والعلامات في صميم الحياة الاجتماعية، وهو يشكل جزءا من علم النفس العام.

إن الشئ المميز في الدراسات السيميائية هو ربط العلامات باستعمالاتها في مجتمع معين، يتفق على توظيف الرموز لإبراز دلالات محددة. ويستخدم مصطلح (سيميولوجيا) في الدراسات الأوربية، في حين تميل الدراسات الأمريكية إلى استعمال مصطلح (سيميوتيك).

إن علاقة اللسانيات بالسيميائيات تبدو وثيقة، انطلاقا من قول (دو سوسير) السابق، فكلاهما تنبع من نظرة واحدة إلى اللغة بوصفها نظاما، ونجد نفس المصطلحات مستعملة في المبحثين، كما أن الباحثين الذين أسسوا للدراسات اللسانية ساهموا في نشأة السيميائيات، وبعضهم انتقل من البحث اللساني إلى البحث السيميائي، مثل (رولان بارت).

وتشكل الدراسة البنيوية منطلقا للبحث السيميائي، يرتكز عليها، ولعل أبرز الباحثين في مجال السيميائيات (غريماس) الذي قدم مشروعا لتحليل الخطاب السردي وفق المنهج السيميائي.

سنتطرق في مجال السيميائيات إلى المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية، باعتبارهما أهم مدرستين في البحث السيميائي، يستقي الاتجاه الأول منطلقاته من فكر دو سوسير، الذي يقدم لنا النموذج الثنائي للعلامة، إذ يعتبرها مكونة من دال ومدلول، والعلاقة التي بينهما علاقة اعتباطية. أي أن اختيار دال معين لكي يقابل مدلولا معينا إنما تم اختياره اعتباطيا، أي دون أن يكون هناك سبب يجعلنا نسمي الشجرة (شجرة) وكان بالإمكان أن نسميها(باب) أو أي كلمة أخرى.

قلنا إن المدرسة الأوربية تعتمد أفكار (دوسوسير) من خلال تبني ثنائية العلامة، في حين تتبنى المدرسة الأمريكية ثلاثية العلامة من خلال ربط الدال والمدلول بمرجع خارجي لنفهم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول،

لقد اهتم (دوسوسير) بالعلامات اللسانية، التي تمثلها اللغة المكتوبة (الألفاظ والكلمات)، فحدد العلامة على أنها تتكون من دال ومدلول، فالدال هو الشكل الذي تتخذه العلامة متمثلا في اللفظ، أما المدلول فهو المفهوم الذي ترجع إليه العلامة، وهو بعبارة أخرى الأثر النفسي المتمركز في ذهن الانسان ويستحضره كلما سمع اللفظ (الدال).

كما أن العلامة اللسانية ليست الصلة بين اسم وشيء، ولكن هي صلة بين مفهوم (مدلول) وصورة صوتية (دال). والصورة الصوتية هي الانطباع الذي يولده الصوت عند المستمع أي البصمة النفسية للصوت. إن العلامة هي هذا الجمع بين الدال والمدلول.

يركز (دوسوسير) على ارتباط الدال بالمدلول، مثلما يرتبط وجها العملة النقدية الورقية ببعضهما، فلا قيمة لأحد وجهي العلامة إلا بالنظر إلى الوجه الآخر.

كما ركز (دوسوسير) على فكرة الاعتباطية وهي العلاقة بين الدال والمدلول، وأشرنا إليها سابقا عندما قلنا إن اختيار دال معين لمدلول معين يكون عشوائيا، أي لا تفسير لهذا الاختيار.

السيميائية 02.

تشكل المدرسة الأمريكية في السيميائيات أهم المدارس وأشهرها، يتزعمها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس (1839-1914) الذي عاصر دوسوسير، واشتغل في مجال علم اللغة.

ولعل القارئ يلاحظ ارتباط هذا العلم بالفلسفة، إلى درجة أن بيرس يقول إن السيميائيات هي مرادف للمنطق، بمعنى أن السيميائيات هي مبحث يتعلق بفلسفة الظواهر والبحث في أصل العلل، وهذا مبدئيا يعتمد على المنطق والتفسير والتأويل.

إذا كانت السيميائيات الفرنسية ترتكز على فكرة ثنائية العلامة، التي أسس لها دوسوسير فإن السيميائيات الأمريكية تتبنى رؤية ثلاثية للعلامة، انطلاقا من وجهة نظر بيرس، الذي يعتبر طرفي العلامة بحاجة إلى مرجع خارجي تفهم العلامة وفقه.

يرى بيرس العلامة مكونة من الشكل الذي تتخذه العلامة، وهو يقابل الدال، والمعنى الذي تحدثه العلامة، وهو يقابل المدلول، إضافة إلى طرف ثالث هو المرجع، الذي نفهم العلامة في ضوئه.

وهو من هذا المنطلق قد وسع مجال اشتغال السيميائيات، عندما ربطها بالمرجع الخارجي الذي هو مصدر تأويل العلامة. إن ما يؤخذ على السيميائيات الفرنسية هو هذا الانغلاق الذي يختصر العلامة في دال ومدلول: علامة = دال /مدلول

هذا الانغلاق يرتكز على المنظور اللساني للعلامة، أي الاقتصار على دراسة العلامات اللسانية دون غيرها من أنظمة التواصل الأخرى، أي دراسة ما يتعلق باللغة المكتوبة، دون الاهتمام بطرق التعبير غير اللغوي.

في حين أن المدرسة الأمريكية عندما وسعت مجال العلامة، فهي بذلك فتحت المجال لدراسة العلامات اللسانية وغير اللسانية، أي دراسة أنظمة التواصل، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، وبذلك فتحت المجال لدراسة دلالة اللون، ودراسة أنظمة الإشهار، والطقوس، والاحتفالات، والأزياء وغيرها من أنظمة التواصل.

السيميائيات وتحليل الخطاب الشعري:

تكمن أهمية السيميائيات في كونها تدرس العلامات والرموز، وتتبع تشكل الدلالة من خلال النصوص، وكأنها تفكك النص لمعرفة الطريقة التي تشكل وفقها، ومن هذا الجانب أشرنا سابقا إلى قضية البحث عن شكل المعنى، فهذا العلم يهدف إلى دراسة المعنى.

وإذا كانت اللسانيات اكتسبت شهرتها من خلال تحديد موضوعها، ألا وهو الجملة ودراسة جوانبها التركيبية، فإن السيميائيات تحدد لنفسها النص كأكبر وحدة حاملة للدلالات، ومن ثم تسعى لحصر العلامات البانية لهذا النص. والنص الشعري على وجه الخصوص يتسم بتكثيف الدلالات، واعتماد العبارات الموحية والحاملة للمعنى، أكثر من غيره من النصوص الفنية، ومن هنا اكتسب الشعر فتنته، وفرادته.

إن العوامل المشتركة بين السيميائيات والنص الشعري تتجسد في العلامات والرموز؛ فالقصيدة تتوافر على كم من العلامات، والمنهج السيميائي يهتم بتفكيك العلامات، ومن هنا برزت أهمية هذا المنهج، وملائمته للتحليل.

ولعل تتبع الثنائيات في القصيدة يمكننا من الوقوف على الأطراف المتقابلة، والتي تساهم في بناء المعنى؛ فثنائية الحياة/الموت عندما تؤطر قصيدة شعرية تكون بمثابة مركز لنمو الدلالات من البداية إلى النهاية، وتندرج ضمنها ثنائيات أخرى تابعة للثنائية الأولى مثل الخير/الشر. ومثلما تؤسس هذه الثنائيات لبنية القصيدة فإنها تؤسس لبنية الحياة بصفة عامة.

والقصيدة كما نعلم تتأسس وفق تفعيلات عروضية متقابلة بين شطري البيت، مما يجعلها مناسبة لتشكل الثنائيات اللغوية التي تبني المعنى.. يؤدي الجانب الصوتي دورا إيقاعيا في تشكيل القصيدة، من خلال الصيغ الصرفية المرتبطة بالسجع.

إن أي تحليل يستند في بدايته إلى تحديد مستويين؛ هما المعنى المعجمي للألفاظ، والمعنى الإيحائي للألفاظ؛ فكل كلمة تقابلها دلالة معجمية، تليها دلالة إيحائية يبينها السياق الذي استعملت فيه هذه الكلمة. إن الدلالة نصل إليها من خلال فهم عنصر الانزياح، الذي يشكل مرحلة انتقال من المعنى المعجمي إلى المعنى الدلالي، أو الإيحائي.

البنيوية التكوينية

البنيوية التكوينية تسعى إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته بدون أن تفصله عن علاقته بالمجتمع والتاريخ، وعن جدلية التفاعل الكامنة وراء استمرار الحياة وتجددها.

وداخل الحقل الثقافي عندنا، يتنامى الاهتمام بمنهج البنيوية التكوينية باعتباره أفقا يساعد على مواصلة تعميق أسس الأدب والنقد بارتباط مع الأسئلة الضرورية الملحة، وبعيدا عن الاختزال وعن تكرارية الخطاب الإيديولوجي المبدئي.

لا يعني ذلك، مطلقا تفوق المنهج البنيوي التكويني على غيره من مناهج التحليل والمقاربات النقدية، كما لا يعني تبنيا لهذا المنهج.

إن البنيوية التكوينية فلسفة متكاملة ذات منظور نقدي يتجاوز سلبية النقد إلى استشراف إيجابية تنسجها الجدلية القائمة بين الذات والموضوع، تلك الجدلية الممثلة لجوهر كل علم تكويني.

فداخل كل بنية توجد بذرة نافية لها، بذرة تؤشر على ما ستكونه، أي بداية تبنين يؤسس بنيات جديدة ويلغي البنيات القائمة.

والبنيوية التكوينية في اعتبارها لكلية الظواهر وترابطها تنطلق من نقد الواقع القائم الناقص، من زاوية استحضارها ما يتكون غبر الجدلية المحايثة وهذا ما يفسح المجال وبخاصة عند لوسيان غولدمان ومنهجه البنيوي التكويني، أمام الذات (الجماعية) في الفعل والتفكير باعتبارها تتوفر على حد أعلى من الوعي الممكن يشرطها ويحدد قدراتها على التأثير والتغيير.

البنيوية التكوينية أو التوليدية (Genetic Structuralism) إذا هي فرع من فروع البنيوية، وتُعد من مناهج ما بعد البنيوية، حيث جاءت لسد ثغرات المنهج البنيوي إذ أنّها تجمع ما بين البعد الاجتماعي والبعد اللغوي.

لوسيان غولدمان

ولد لوسيان غولدمان ببوخارست سنة 1913، وقضى طفولته في مدينة بوتوزالن في رومانيا حيث أتم دراسته الثانوية. بعد البكالوريا هيأ إجازة في الحقوق ببوخارست حيث احتك أول مرة بالفكر الماركسي

انتقل سنة 1933 الى فيينا حيث اكتشف الأعمال الثلاثة الكبرى للوكاش "الروح والأشكال"، و«نظرية الرواية» و "التاريخ والوعي الطبقي"

انتقل سنة 1934 الى باريس حيث هيأ رسالة دكتوراه في الاقتصاد السياسي وإجازة في اللغة الالمانية وأخرى في الفلسفة. ويبدو أنه منذ هذه الفترة كان قد حدد المقولات الرئيسية لتفكيره وخاصة مقولة الكلية التي هي مقولة مركزية في أعماله.

هرب سنة 1940 من الاحتلال الألماني نحو مدينة تولوز الفرنسية ثم مر خلسة الى سويسرا حيث بقي في إحدى معسكرات اللاجئين الى سنة 1943 وبفضل جان بياجيه تم تحريره وإعطاؤه منحة دراسية بحيث استطاع تهييئ، رسالة دكتوراه في الفلسفة في جامعة زوريخ بعنوان «المجموعة الانسانية والكون لدى عمانويل كانط ثم عين بعد ذلك مساعداً لجان بياجيه في جامعة جنيف حيث تأثر بأعماله حول البنيوية التكوينية.

نشأة البنيوية التكوينية

نشأت البنيوية التكوينية استجابة لسعي بعض المفكرين والنقاد الماركسيين وعلى رأسهم الفرنسي لوسيان غولدمان L. Goldman للتوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية من جهة، وأسس الفكر الماركسي الجدلي من جهة أخرى، والذي يركز على التفسير المادي الواقعي لعموم الفكر والثقافة، فالتفكير الماركسي من هذا

المنطلق يتجاوز مفهوم البنية المغلقة للنص الأدبي، ويحاول في الوقت ذاته ربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي.

يعتمد المنهج التكويني من وجهة نظر غولدمان على مبدأين أساسيين، هما:

- إنّ كل تأمل في العلوم الإنسانية والفكر الثقافي لا يحدث من خارج المجتمع، وإنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة الحياة الثقافية للمجتمع، فالتأمل التكويني يعالج قضايا منظومة الفكر الاجتماعي بعامته، بمعنى أنه لا ينظر إلى البنية النصية بمعزل عن عواملها الخارجية سواء أكانت اجتماعية أم ثقافية.
- إنّ الأساس الذي يقوم عليه الفكر الجدلي لبنيوية التكوين، نابع من سلوكيات الإنسان، وأنّ كل فعل إنساني، له خاصية دالة ليست دائماً واضحة، ولكن الباحث يجب عليه عن طريق عمله إظهارها. وعلى هذا الأساس الذي عبّر عنه غولدمان من وجهة نظره فإنّ عمل الباحث في بنية التكوين عند قراءته للنص الأدبي هو تفسير النص من الخارج، من خلال تركيزه على العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية، فبنية النص الدلالية تحمل في طبعها أبعاد فلسفية نابعة عن مخزون ثقافة مجتمع ما ضمن إطار زمني معين، وبالتالي لابد من استنطاقها لمعرفة مولداتها وأسباب تكوينها.

مرتكزات البنيوية التكوينية

تقوم البنيوية التكوينية على أربعة مرتكزات أساسية، حددها لوسيان غولدمان تبعًا لنوعية وطبيعة العلاقة بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، وهي علاقة تقوم على أساس التماثل الوجودي بين النص الأدبي، وعلاقته بالبنيات الذهنية لطبقة أو فئة اجتماعية، وتمثل هذه المرتكزات مصطلحات إجرائية، ومفاتيح

يتسلح بها الباحث عند تحليله العمل الأدبي تحليلا سوسيولوجيًا تكوينيًا، ويمكن حصرها على هذا النحو:

- **رؤية العالم:** تعد من المرتكزات الأساسية التي تُبنى عليها البنيوية التكوينية، فيعرفه لوسيان غولدمان، بأنّها "مجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية أو طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى، حيث تمتاز الرؤية عند غلودمان بميزتين، هما الشمولية والانسجام أو التماسك.
- **الفهم والتفسير**: تقوم عملية الفهم والتفسير على مبدأ التكامل بين بنية النص الداخلي وعواملها الخارجية الاجتماعية والثقافية والتاريخية والنفسية، ويعتمد ذلك على إنشاء بنيات دالة تنتمي إليها المجموعات أو الطبقات التي يتمثلها سلوك جماعي معين.
- **البنية الدالة:** يحددها غولدمان بأنها الواقع والقاعدة، والمضمون الاجتماعي داخل البنية النصية، وهي عبارة عن مقولة ذهنية أو تصور فلسفي يتحكم في مجموع بنيات العمل الأدبي التي تشكل نسيجًا منسجمًا شموليًا تُعبر عنه رؤية المبدع للعالم.
- **الوعي القائم والوعي الممكن**: يرتكز على توضيح الصلة القائمة بين الوعي والحياة الاجتماعية، فالوعي القائم هو إدراك فئة اجتماعية ما لوضعها الراهن سواء في علاقتها مع الطبيعة أم في علاقتها مع الجماعات الأخرى. أما الوعي الممكن فهو أقصى ما يمكن أن يبلغه وعي الجماعة دون أن يؤدي ذلك إلى إحداث تغيير في طبيعتها.
- **التماثل أو التناظر**: هو إبراز العلاقة الجدلية القائمة بين العمل الأدبي والبينة الدالة فيعمل على وصفها وبيان الصلة بينها وبين مضمونها الاجتماعي، إذ إنّ العلاقة بين الحياة الاجتماعية والعمل الأدبي علاقة جوهرية يقوم التماثل باستظهارها والتوفيق بينهما.

أعلام البنيوية التكوينية:

كان للفيلسوف والمفكر المجري جورج لوكاتش György Lukács الأثر الكبير في صياغة الاتجاه البنيوي التكويني إلى جانب عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو Pierre Bourdieu، حيث سعى لوكاتش إلى الربط بين التطور الاجتماعي والتطور الأدبي في مضامينه وأشكاله؛ مما أدى إلى نقلة نوعية في علم الاجتماع الأدبي، اعتمد عليها أبرز منظري المنهج البنيوي التكويني وعلى رأسهم لوسيان غولدمان.

منهج التحليل الأسلوبي

لقد عرف مصطلح الأسلوب قديما عند العرب كما عرف عند غيرهم وهو في المعجم العربي يعني: السطر من النخيل وكل طريق ممتد، والأسلوب هو الطريق والمذهب، والجمع أساليب.

وقد استخدم علماء العربية هذا اللفظ في دلالات اصطلاحية متعددة، فقد ذكر ابن قتيبة مصطلح الأسلوب في قوله:"إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب".

كما ذكره الخطابي في معرض حديثه عن إعجاز القرآن "وهنا نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته ويقول الباقلاني في حديثه عن الإعجاز أيضا:"وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ومزيته عليها في النظم والترتيب ".

والذي يظهر من سياق كلامهم أنهم لا يستخدمون مصطلح الأسلوب بالمعنى المستخدم الآن وإنما يعنون به الطريقة الخاصة في النظم والسمة المميزة لكلام عن كلام آخر وهذا يفيدنا أن أصل اللفظ وشيء من المعنى كان موجودا عند علمائنا الأوائل قديما.

وقد تطرق عبد القاهر الجرجاني للأسلوب فقال في تعريفه:هو"الضرب من النظم والطريق فيه" كما تعرض له الحازم القرطاجني وابن خلدون وهذا كله مما يؤكد وجود أصل هذا المصطلح قديما.

أما عن الأسلوب عند الأوروبيين قديما، فقد تجلى ظهوره في الدراسات الأولى لفن الخطابة عن الإغريق واستعمل المصطلح للدلالة على لقلم والريشة ثم استخدم لفن النحت والعمارة ثم أقتحم مجال الدراسات الأدبية، حيث صارت

تعني اللفظة الطريق الخاص لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو الخطيب.

أما عن الأسلوب في العصر الحديث فإنه يعرّف بعدة تعريفات نظرا لتعدد مذاهبه ومناهجه والمدارس التي عنيت بمادته ونجملها في الآتي:

1- **باعتبار المرسل أو المخاطِب:**

هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل.

2- **باعتبار المتلقي والمخاطب:**

هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيا كان هذا الأثر.

3- **باعتبار الخطاب:**

هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة المشكلة عدولا، وما يتصل به من إيحاءات ودلالات.

الأسلوبية ومناهج التحليل النسقي

يعرف شارل بالي الأسلوبية بوصفها: علما يعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبرة عن الحساسية.

ويقول عبد السلام المسدي عن هذا المصطلح أنه مركب من جذر " أسلوب" ولاحقته "ته" فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي واللاحقة تختص بالبعد العلماني العقلي الموضوعي.

وعرفها جاكبسون: بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا عن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا.

وقد حاول أحد الباحثين أن يجمع هذه التعريفات في تعريف واحد فقال: هي جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم وبيان التأثير على السامع.

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الأسلوب والأسلوبية (علم الأسلوب) الذي استدعى استحضار آلية منهجة وعددا أجرائية تمكن من تحليل النص تحليلا لغويا وفنيا سعيا إلى :

- ❖ الكشف عن القيمة التأثرية للكلام،
- ❖ أالكشف عن هذه القيمة التأثرية من ناحية جمالية ونفسية وعاطفية.
- ❖ دراسة التعبير اللساني، ومدى ملائمته لنسقية البناء اللغوي وذلك وفق محوري الاختيار ومحددات الانزياح ecart

الاختيار:

وهو من أهم مبادئ علم الأسلوب لأنه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع، ويقصد بها العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من

البدائل الموجودة في معجمه فاستخدام هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمى "اختيار" وقد يسمى "استبدال" أي أنه استبدل بالكلمة القريبة منه غيرها لمناسبتها للمقام والموقف.

ويتصل بهذا المبدأ شيء آخر هو ما يسمى بـ"محور التوزيع" أو " العلاقات الركنية" ويقصد بها تنظيم وتوزيع الألفاظ المختارة وفق قوانين اللغة وما تسمح به من تصرف، وهذه العملية هي التي يسميها جاكبسون: إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع.

❖ العدول:

ويسمى "الانزياح" أو"الانحراف" كما سماه ابن جني قديما، أو كما سماه جاكبسون "خيبة الانتظار"، ولهذا المبدأ أهمية خاصة في علم الأسلوب حتى سماه بعضهم "علم الانحرافات".

وهذا المبدأ ينطلق من تصنيف اللغة إلى نوعين:

- لغة مثالية معيارية نمطية متعارف عليها.
- ولغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري السابق.

فالعدول هو: مخالفة النمط المعيار المتعارف عليه إلى أسلوب جديد غير مألوف عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة.

ويتضح في هذا التعبير شرط يضبط هذا العدول حتى لا يخرج عن الحد المقبول وهو أن يكون العدول في حدود ما تسمح به قواعد اللغة، وكذلك يجب أن يكون هذا العدول ذا فائدة فليس العدول غاية في ذاته إنما المقصود منه إثارة السامع وحفزه على التقبل.

ومن هنا فقد تشكلت مناهج النقد الأسلوبي وفق المبادئ والرؤى التي اعتدت بها مختلف المدارس الأسولبية ونجملها في :

1- الأسلوبية التعبيرية:

ويقصد بها طاقة الكلام الذي يحمل عواطف المتكلم وأحاسيسه حيث أن المتكلم يحاول أن يشحن كلماته بكم كبير من الدلالات التي يظهر أثرها علىالمتلقي وهي ظاهرة تكثيف الدوال خدمة للمدلولات كما يسميها البعض ويعد بالي رائدا لهذا الاتجاه.

2- الأسلوبية البنائية:

وهي امتداد لآراء سوسير في التفريق بين " اللغة " و" الكلام" كما تعد امتدادا لمذهب بالي في الأسلوبية التعبيرية الوصفية، وفقد طور البنائيون في بعض الجوانب وتلافوا بعض جوانب النقص عند سابقيهم حيث عايشوا الحركة الأدبية وهنا يكون التحليل الأسلوبي خاضعا لتفسير العمل الفني باعتباره كائنا عضويا شعوريا.

3- الأسلوبية الإحصائية:

وهذا الاتجاه يعنى بالكم وإحصاء الظواهر اللغوية في النص ويبني أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء.

ولكن هذا الاتجاه إذا تفرد فإنه لا يفي الجانب الأدبي حقه فإنه لا يستطيع وصف الطابع الخاص والتفرد في العمل الأدبي، وإنما يحسن هذا الاتجاه إذا كان مكملا للمناهج الأسلوبية الأخرى.

ويبقى أن المنهج الإحصائي أسهل طريق لمن يتحرى الدقة العلمية ويتحاشى الذاتية في النقد، فيجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للإثبات والاستدلال على

موضوعية الناقد أي بعد أن نتعامل مع النص بالمناهج الأخرى التي تبرز جوانب التميز في النص.

4- منهج الدائرة الفيلوجية:

وهو منهج يقوم بدراسة العمل الأدبي على ثلاث مراحل هي:

الأولى: أن يقرأ الناقد النص مرة بعد مرة حتى يعثر على سمة معينة في الأسلوب تتكرر بصفة مستمرة.

الثانية:يحاول الناقد أن يكتشف الخاصية السيكلوجية التي تفسر هذه السمة.

الثالثة: يعود مرة أخرى إلى النص لينقب عن مظاهر أخرى لبعض الخصائص العقلية.

فهذه المراحل الثلاث تشكل في هيئتها الدوران حول النص مرة بعد مرة ويعتبر سبتزر أول من طبق هذا المنهج على أعمال ديدرو ورواية شارل لويس.

5- أسلوبية الانزياح:

وهي تقوم على مبدأ انزياح اللغة الأسلوبية عن اللغة العادية ويعرف الأسلوب على أنه انزياح عن المعيار المتعارف عليه, فهم يعتقدون أن الأسلوب الجيد هو الذي ينحرف عن اللغة الأصلية وطريقتها الاعتيادية على اختلافهم في مدى هذا الانحراف والانزياح فمنهم من يدعو إلى الخروج عن كل قواعد اللغة وهذا ما طبقه أهل الحداثة في أدبهم , والمعتدل منهم يقول أن الانزياح يكون في حدود قواعد اللغة حيث يكون الإبداع بسلوك طرق جديدة غفل عنها الآخرين لكنها لا تخالف قواعد اللغة أي النحو، ويسميها كوهمين "الانتهاك" حيث أن المبدع يعتمد في إبداعه على اختراق المستوى المثالي في اللغة وانتهاكه.

6- الأسلوبية الأدبية:

وهي تعنى بدراسة الأسلوب الأدبي بجانبيه الشكلي والمضموني، ويسعى أصحاب هذا الاتجاه إلى اكتشاف الوظيفة الفنية للغة النص الأدبي وذلك عن طريق التكامل بين الجانب الأدبي الجمالي الذي يهتم به الناقد، والجانب الوصفي اللغوي اللساني.

وهذا هو الذي يميز هذا الاتجاه عن الاتجاه اللغوي الذي لا يهتم بالمعنى وإنما بالشكل والصياغة.

7- الأسلوبية التأثرية:

وبنصب اهتمام هذا الاتجاه على المتلقي وقياس تأثيرات النص عليه من خلال استجابته وردود فعله، حيث إن المتلقي له الحق في توسيع دلالات النص من خلال تجربته هو.

المصادر والمراجع المعتمدة

- الاتجاه الأسلوبي في النقد، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي.
- الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والادب الملتزم بالإسلام، د.عدنان النحوي، دار النحوي، ط1 ,1419هـ .
- الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي الدار العربية للكتاب، تونس 1397هـ
- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، أ.د.يوسف أبو العدوس، دار المسيرة ط1، 1427هـ
- الأسلوبية منهجاً نقدياً، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن،
- الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية.
- بسام قطوس (2016)، دليل النظرية النقدية المعاصرة، الاردن: فضاءات للنشر والتوزيع، صفحة
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط1، 1994م.
- البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة محمد سبيلا، ط2، 1986، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان.
- حلام الجيلالي، المناهج النقدية المعاصرة، 2004.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة 1404هـ ص469.
- غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية.
- في الأسلوب والأسلوبية، محمد اللويمي، والأسلوب والأسلوبية لعدنان النحوي ص156.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1 , 2000م، مادة(سلب)
- اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب، شكري عياد، ص13, الطبعة الأولى 1988م.
- مختار الصحاح، الرازي
- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، دار العلوم، ط1 , 1402هـ

- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف مجموعة من الكتاب: رضوان ضاضا، المنصف الشنوفي، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997
- مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية"، مجلة آفاق علمية، 2009، العدد 4، المجلد 44
- معجم مقاييس اللغة - ابن فارس- كتاب النون
- مناهج النقد الأدبي لصلاح فضل
- ميجان الرويلي، سعد البازعي (2002)، دليل الناقد الأدبي (الطبعة 3)، الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي
- النحوي، 1999م: 154
- نصيرة مصابحية، تجليات المنهج اللغويالجمالي عند مصطفى ناصف
- النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة روية إسلامية، أ.د. سعد أبو الرضا، ط2, 1428هـ ، وفي الأسلوب والأسلوبية، محمد اللويمي.
- النقد الأدبي الحديث، أ.د. سعد أبو الرضا، وفي الأسلوب والأسلوبية، محمد اللويمي.
- النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972.
- النقد العربي المعاصر، دراسة في المنهج والإجراء، الدكتور علي حسين يوسف، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016، الأردن.
- النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق
- /https://mawdoo3.comليث بني نصر، آخر تحديث:12:36 ، 23 مايو 2023